حضور مفهوم الاضداد(الخير والشر) في فلسفة الفارابي

م.د.هديل سعدي موسى(*)

الخير، الشر، الفلسفة الاسلامية، الفارابي، النفس الانسانية

تمهيد

لاشـك أن لمفهوم الخير والشـر منذ نشـأة الخليقة حضوراً مليئاً بالصراعات. ويعد مبحثاً مهمـاً من مباحث الفلسـفة الاخلاقيـة، اذ وجد الانسان هنالك صراعاً مستمراً قديماً وحاضراً ومسـتقبلاً فهـو فـي كفاح مسـتمر فـي الحياة الانسانية.

والفلاسـفة على العصور بحثـوا في تاريخ الفلسـفة عن مفهوم الخير ومساهمته، وهل هو قيمـة مطلقة ام نسـبية ؟ وهل هـو فعل ام قيمة تضـاف للأفعال ؟ وماهية أفعال الانسـان فكان مفهوم الخير والشـر هو النقطـة المركزية في الفكر الانسـاني والفكر الدينـي لمعظم الديانات الشـرقية القديمة(السومرية والاكدية والكلدانية والاشورية والزرادشية والمزدكية اما الديانات السـماوية التي جاءت بعدها فأنها رفعت مفهوم الخير الى القداسـة وجعلته مـن صفات وأفعال الله الخالـق، أمـا الشـر فهـو يرجع الـى عمل الشيطان، ومع تطور المعرفة الانسانية بمرور الزمن وظهور الديانات السـماوية والتي كانت لها موقف من الخير والشر اذ تعد جوهر الديانة السماوية ومنبع فيما بعد للفلسفات وتواريخها.

ولأهمية موضوع الخير والشر جاءت فكرة البحـث والخوض فـي بحار هذيـن المفهومين وفلسـفتهما التضادية عند الفارابي فالذي نسميه الخير هـو عملية جهد حر يقوم به الفرد للبحث عن القيم يوصفها هدف يسـعى الانسان لتحقيقه وبه يشعر الانسان سـعادته، والعكس هو الشر الذي به يكون تعيساً.

ولكـي نقـف علـى مفهوم(الخير والشـر) هـذه الثنائية لابـد من وضع ومضـات منذ بدأ الخليقة ففي مرحلة ماقبل التاريخ كانت التجربة الخطأ والصـواب لمعرفة الخير والشـر،وهي

(*) كلية الاداب- جامعة المستنصرية

مرحلة(الزراعة المدنية) ثم تطورت عندما اقترب الانسان من اخيه الانسان وبدأت المشاكل والعلاقات الاجتماعية، فدخل الانسان في مرحلة جديدة من التطور فظهرت الحاجة لوضع مبادئ الاخلاق وقوانين لحماية الضعفاء من الاقوياء عن طريق فرض العقوبات لحفظ حقوق الناس فكانت اول شريعة مكتوبة في تاريخ الانسانية كانت شريعة حمورابي قبل ٤٠٠٠ سنة تقريباً فظهرت اعتقادات السومريين والبابليين ان الخير هو من صنع الألهية العظيمة(مردوخ وأنليل) وأن الشر هو من صنع الآلهية الادنى منها(نمو وتيامت) كانت السيادة في الاسرة والمجتمع تعود للمرأة في مرحلة ما قبل التاريخ وكانت توصف(ديانة النيوليت) بالديانة القمرية الأنثوية[١].

وبعدها ظهرت الديانة الشمسية(الاله مردوخ) الذي يملك عناصر الذكوره النهار والعمل والقوة والاستمرارية في هذه المرحلة فتلت كل الهة الديانة القمرية الانثوية، مثل الآلهة(نمو) السومرية وآلهة المياه البابلية(تيامت) وتحولت عباداتهما الى عبادة سرية ونسبت اليهما كل الشرور والشياطين والامراض، ومنها خلق الانسان الذي يعمل الخير والشر ومن فكرتها نقل التشبيه الموجود من العهد القديم من قبل ادم وحواء الى العهد الجديد[٢].

ثم ظهر مفهوم الخير والشر في فلسفات دينية قديمة منها الغنوصية[٣] تؤمن هذه الحركة أن المادة انبثقت من الله على شكل مراحل،وفي كل مرحلة كان الخير ينحسر والشر يتمدد الى ان انبثقت المادة الحالية التي هي شر بذاتها.

أما الزرادشتية[٤] تؤمن بوجود الهين هما النور(الخير)(الحكمة) والآخر الظلام(الشر) والرذيلة وهما(النور والظلمة) في صراع دائم. والمانوية[٥] تؤمن بالثنائية مملكة الخير ومملكة الشر.

وهكذا اتسمت بواكير التفكير الانساني في الحضارات برموز اخلاقية، فالسلبية صفة الشر والفوضى والظلام والتقيد، أما الايجابية فكانت سمة الخير والنظام والنور والتجدد، فكانت نظرتهم واقعية بمعنى نظر(آلهة) باعتبارهم يستهدفون خيراً للجماعة، بألوان النشاط الفكري[٦].

وعندما تأتي الى تواريخ الفلسفة كان اليونانيون الأوائل يسألون هل هناك فعلاً مقياس مطلق لموضوع الخير والشر ؟ وهل أن(الخير المطلق والخير النسبي) عند الأغريق كانت هنالك مشكلة في معالجة هذه القضية فمثلاً كان الحث على عمل الخير والابتعاد عن الشر والتحقير من شأن الجسد، وفيها من الاسطورة والافكار والغربية كأشعار هوميروس في الالباذه والاوديسة التي لابد وانت تتصفحها أن نجد افكاراً اخلاقية كالأحساس بعاطفتي الخير والشر[٧].

أما التفكير الاخلاقي اليوناني كان يتسم بالضرورة للعدالة فوجود الشر يحتم وجود العقاب وتحقيق العدالة والى جانب الشر يوجد الخير وهم اتباع القانون العام قانون العدالة[٨].

فمثلاً نجد افلاطون في مبحث الاخلاق يؤكد أن الرديء ضار يجلب الشر،والنافع يأتي منه الخير والمنفعة،والضرر يأتي مع الشر،ويعد الخير النظام والتناسب، فاذا اختل النظام فقد الشيء قيمته وفضيلته،ويذكر افلاطون ان الذين

نسـميهم اخياراً او أشـراراً يحسون اللذة والالم على السـواء، فليس الاخبار اخباراً باللذة وانما بالخير،وليس الاشرار اشراراً بالألم بل بالشر، فالنظـام والتناسـب في النفس يسـميان القانون والفضيلة[٩].

أما ارسـطو تلميذ افلاطون فسـر موضوع الخير والشـر من خلال العلة والمعلول اذ يرى ان اي عمـل يقوم به الانسـان لغـرض معين، اذ هـذا العمل يتـرك أثراً على الاشـياء(العالم المحيـط به)، يرى ارسـطو أن افضل خير في الوجود هو العمـل نم اجل حصول هذا التكامل فهو يستنتج(اعرف نفسك) أي اعرف نواقصك وعالمك الداخلي، كي تستطيع ان تملأه اي تنقله مـن حالة النقص الى مرحلـة الكمال[١٠]. وهنا نعلـق نجد قوله تعالى: **لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِـهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُـوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ**[١١].

فتغير الانسان نفسه من الشر الى الخير قائم على ذات الانسان، ارادته وقول تعالى: **وَنَفْسٍ وَمَا سَـوَّاهَا(٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا(٨)** [١٢].

الفجور الشـرود والتقـوى الخير والصلاح وهنا نجد لارسطو فلسفة اخلاقية ابداعية اذ انهم يقسم النفس الى(نامية وحاسة وناطقة) والناطق للأنسـان فقط وتجمع النامية مع الحاسة ؟ العقل والارادة والعقـل عنـد ارسـطو مفـارق، غير متحد بالمادة، ولهذا يدرك الماهيات محسوسـة ومعقولـة. امـا الارادة فهـي قوة النـزوع الى الخير المعلوم بالعقل،وهي روحية كالفضيلة ن الخير روحي[١٣].

المحور الاول: فلسفة الفارابي

الصفة التي تميز فلسفة الفارابي هي التنوع وهنا يظهر لنا سـر الابداع لهذا التنوع،تتصف فلسفة الفارابي بالفسيفساء المتعددة الألوان ذات التنـوع الطيفـي للألوان وهذا التنوع بعد سـرُ الابـداع والابتكار والاختـراع، جمع الفارابي بدراسته فلسـفة اليونان مع الفلسـفة الإسلامية وألبسها ثوب جديد اعط للمتلقي والباحث شغف الاطلاع على هذا الخزين الموروث من فلسفته فكانت صفة التوفيق بين الفلسـفة والدين طبعت على المنحى العام لفلسفته وهذا ما ذكرته الباحثة الدكتـورة نظلـة الجبوري في كتابها((الفلسـفة الإسـلامية))[١٤] ان الفارابي وفق بين الفلسـفة والدين بخطوتين الأول بين افلاطون وارسـطو والثانية بين الفلسفة والدين.

والصفـة التي تميـزت بها فلسـفة الفارابي بالعقلانيـة أي اسـتعمال العقـل للحصول على سـند مبرهن على هذه العقلانية، نجده يذكر في رسالة العقل قائلاً:(انه هو الفضيلة)[١٥]

نجـد الفارابـي يعطـي لمفهوم(الفضيلـة) إهتمامـاً مركزيـاً فـي مباحـث فلسـفته اذ ترد بأشتقاقات عديدة ومتفرعة في مؤلفاته والتفاضل عند الفارابي من الأفضلية على أسـاس أخلاقي وقيمـي ومعياري من نوع محـدد، ينحاز قطعاً الـى كل ما هو جيد وصحيح ومناسـب ومقبول وخير في النظام الفكري للفارابي[١٦].

وتميزت فلسـفة الفارابي بالمنحنى التوفيقي وجاءت هذه السـمة التوفيقية من تأثير الإسلام فـي التكويـن الفكـري له ومـن تأثير الفلسـفة اليونانية في نفوس مفكري الإسـلام بشكل عام وفلسـفة ارسـطو وافلاطون بشـكل خاص من جانب اخر وطابـع التوفيق الذي اتبعه الفارابي

ما هو الا التوفيق بين الفلسـفة والدين. وهذا ما جعل منحاه في فلسفته متبعاً خطوتين[١٧]

الأولى: التوفيق بين افلاطون وارسطو.

الثانية: التوفيق بين الفلسفة والدين.

فقـد بـذل جهـوداً عميقـة لإزالـة الخوف بيـن العقـل والنقل او بيـن الفلسـفة والدين أي بيـن الحكمـة والشـريعة واكـد ان مصدرهما واحد(الله)فالدين مرجعه الـى الوحي، والوحي من الله، ومرجع الفلسفة الى الطبيعة، والطبيعة من صنع الله، ومصدر واحد هو العقل الفعال[١٨]

والنبي والفيلسوف يستمدان المعرفة والعلم من ينبوع العلم الإلهي،فالنبي يتلقى العلم الإلهي بواسطة جبريل حامل الوحي له،وأما الفيلسوف فيتلقى العلم الإلهي بعد ان يصبح عقلاً مستفاداً، مـن العقـل الفعال. ومـن ثم فلا فـرق جوهريا بينهمـا ولا خـلاف بين الحكمـاء والانبياء،ولا خوف بين الفلسفة والدين او الحكمة والشريعة. لهذا فأن الفلسـفة والدين وجهـان لحقيقة واحدة او معبـران عـن حقيقـة واحـده مـن وجهيـن مختلفيـن وبلغتيـن متباينتين لأختـلاف الناس المخاطبيـن فـي كل منهمـا فلغة الشـريعة او الدين لغة حسية تصويرية لاستعمالها الأسلوب التمثيلـي التشـبيهي لانها تخاطـب الناس على مختلف طبقاتهم واسـتعدادتهم،بينما لغة الحكمة او الفلسـفة هي اللغـة البرهانية التجريدية لانها تخاطب الخاصة الفئة التي اقتصر اربابها على البحث العقلي المجرد. وبهذا ينهي الفارابي الى إقـرار رأيه في الوفاق بين الفلسـفة والدين وان كان اختلاف وفروقات بينهما فهي في الظواهر والفروع لا في الجوهر والحقيقة. وبهذا استطاع الفارابي ان يطبع الفلسفة الإسلامية كلها بطابعة التوفيقي فكانت امتداد للتفكير الفلاسفة المسلمين فيما بعده.[١٩]

والفارابي يرى ان الفلسفة واحدة بالرغم من اختلاف مباحثها ومذاهبها،لانها تتبدل من زمان الى زمان ومن مدرسـة الى مدرسـة ومن معلم الـى معلم مـن غير ان تتغير غاياتهـا وأهدافها فالفلسـفة عنده واحدة فالواجب على الفيلسـوف ان يجمع الآراء المختلفة للارتقاء منها الى قمة واحدة تجمع بينهـا وهذه القمة هي الحقيقة التي أرادها الفارابي.[٢٠]

اذن كان التوفيق لديه بين فلسـفة افلاطون وارسـطو والتوفيق بين الفلسـفة والدين(العقل والوحـي) و(الحكمة والشـريعة) والتوحيد هو منهـج يتبعه في فلسـفته المتنوعة هـذا ما ميز فلسفة الفارابي وما أكد عليه العديد من الباحثين العـرب والعراقيين منهم(جميـل صليبا، ماجد فخري، جعفر ال ياسـين، محمـد علي بوربان محمد عبد الرحمن مرحبا، محسن مهدي، حسن العبيدي، نظله الجبوري)

ونتفـق مع من سـبق، فالباحث في فلسـفة ومنهجية الفارابي يستطيع ان يدرك ان(الفلسفة الفارابية) ترتبط بعضها ببعض ارتباطاً محكماً وثيقاً ويشمل فيها عناصر الانتقاء والتوفيق،فقد ابدع في البحث والتقصي وتوضيف الاحتمالات للوصل الى الحقائق بأسلوب التحليل والتركيب والتعمق والاسترسال بالمقارنات والشروحات.

ونتفـق مـع الدكتـوره زينب فـي رأيها ان مؤلفات الفارابي في الفلسـفة الطبيعية والالهية والسياسـية لم تراعي موضـوع البحث الواحد بمعنـى الفارابـي كان موسـوعياً فـي الكتاب الواحـد الـذي يؤلفـه فمثلاً نجد كتـاب احصاء

العلوم يتشعب الى عدة انواع للعلوم ومعالجاته لها(علم اللسان وعلم المنطق وعلم التعاليم والعلم الطبيعي والعلم الالهي والعلم المدني وعلم الفقه وعلم الكلام)وكتابه في اراء اهل المدينة الفاضلة كذلك يتفرغ في الكلام الى(القول في الموجود الاول والقول في نفي الشريك عنه تعالى والقول في نفي الضد عنه وفي نفي الحد عنه سبحانه والقول في ان وحدته عين ذاته والقول في عظمته وجلاله ومجده تعالى. ..... الى ان يصل الى القول بالفرق بين الارادة والاختبار، وفي السعادة والقول الى احتياج الانسان الى الاجتماع والتعاون والقول في العضو الرئيسي وفي خصال رئيس المدينة الفاضلة والقول في مضادات المدينة الفاضلة والقول في الصناعات والسعادات والى.... الخ، الى ان يصل الى أراء اهل المدن الجاهلة والضالة. اذن التنوع في المؤلف الواحد كان سمة لمؤلفات الفارابي، رغم التقسيمات التي يجتهد بها الباحثين على مر الازمان.

المحور الثاني /الخير والشر وحضورهما في فلسفة الفارابي

عند اطلاعنا على العديد من المصادر التي توسعت بالبحث الدقيق في فلسفة الفارابي،لاسيما في تواريخ الفلسفة العربية الاسلامية لكوكبة من الاساتذة الذين درسوا ونقحوا فلسفة الفارابي ومنهم ماجد فخري،محمد علي بوربان،محمد لطفي جمعة، دي بور ترجمة محمد عبد الهادي بوريده،رمزي نجار، وانعام الجندي، و جميل صليبا ومحسن مهدي وعلي الجابري و نظلة الجبوري وحسن العبيدي. .....وغيرهم

نستطيع ان نصف اهتمامات الفارابي بانها شمولية وموسوعية، متنوعة شملت مختلف مباحث الفلسفة، المنطقيات، الطبيعيات، الالهيات، السياسة، الاخلاق، مما جعل مكانته في تاريخ الفلسفة ذات أشعاع وتأثير لمن جاء بعده.ولأننا نبحث في حضور فلسفة الأضداد(الخير والشر) في فلسفة الفارابي،كان لابد منا ان نفحص ونستخرج ونستنبط هذين المفهومين في فلسفته.

كذلك ارتاينا ان نقسم هذا المحور الى مقاصد اربعة وهي:-

المقصد الاول: الخير والشر في منطقيات الفارابي

المقصد الثاني: الخير والشر في الوجود

المقصد الثالث:الخير والشر في النفس البشرية

المقصد الرابع:الخير والشر في الاخلاق والسياسة

المقصد الأول: الخير والشر في منطقيات الفارابي

لقد شرح الفارابي في الكتب المنطقية (القياس، البرهان، الخطابة،القياس الكبير، المقولات، المختصر الكبير في المنطق،.... الخ)[٢١]العديد من المفاهيم فهو يعد أول من يسر المنطق وقربَهُ الى الاذهان واستعمل فيه عبارات للفقهاء والمتكلمين والنحاة وقارن بين منهج الاصوليين ومنطق الارسطيين،واتخذ من الآيات القرآنية أمثلة في القياس والاستقراء والتمثيل[٢٢].

والفارابي يذكر في كتابه((التنبيه على سبيل السعادة))(ان صناعة المنطق تفيد العلم

بصواب مـا يعقل،والقدرة على أقتناء الصواب فيمـا يعقل)[٢٣] وان علم المنطـق صناعة تتقدم علـى غيرها مـن العلـوم بالأولوية،لانـه اداة التميـز بين ماهو صادق وكاذب وان العقل آلته وسـبيله((هذه الصناعة هي اول صناعة ينبغي ان يشرع فيها من الصنائع العلوم))[٢٤]

اذن اراد الفارابـي من(المنطق)المشـتق من(النطق)عنـد الانسـان والانسـان يختـص بالعقل،وبالعقـل اصبـح الانسـان انسـاناً، فهذهالصناعة(المنطـق)اصبحـت صناعـة تفيـد الخيرات،ولما كانـت الخيـرات المتعلقة بالعقـل توصلنا الى السـعادة الغاية التي ارادها الفارابي[٢٥]

مـن كلام الفارابي نجسـد قراءتـه للمنطق انطلاقاً الـى قيم اخلاقية الا وهـي دلالة الخير التي يتشـوق الانسـان الوصول اليهـا، ويعدها الفارابي صناعـة اي(المنطق) من صنائع التي توضـح الصـواب والخطـأ وبالصـواب يعقل الاشياء الخيرة.

ويعلق الدكتور جعفر آل ياسـين في تحقيقه لكتاب(التنبيه على سبيل السعادة)[٢٦] قائلاً:

((ودلالـة الخير الفارابية يقصد بها ما يؤثر لأجـل ذاته،وانه هـو الذي يؤثر غيـره لاجله، وهـو الذي يتشـوقه الكل مـن ذوي الفهم....ان الخيـر انما يكون بالاضافة لا على الاطلاق.اما الغايـة فالمقصود منها هي غاية الانسـان التي يبلغ بها السـعادة))[٢٧] ونجد تأثيرات ارسـطوا علـى الفارابي واضحـة،اذ يذكر ارسـطو في كتابه(الأخلاق النيقوماخيه)[٢٨]

قائلاً:(ان كل صناعـة،وكل مذهب،وكذلك كل فعـل واختيار،فقـد يعلم انه إنما تتشـوق به خيراً ما)[٢٩]

اعطـى الفارابـي للمنطـق صفة(القـوة المنطقية) بمعنى اعطى للمنطق صفة القوة التي تفعـل الخيـر وبوجود(العقل) نصـل الى الحق والخير والسعادة التي يبغي تحقيقها الفارابي.

وهـذه القـوة المنطقية(العقل) الـذي يذكره الجمهـور فـي الانسـان انه عاقـل ويرجع الى التعقـل والادراك فهـم يعنـون بالعاقل من كان فاضـلاً وجيد الرؤية في اسـتنباط ما ينبغي ان يؤثر من خير او يتجنب من شـر ويمتنعون ان يوقعوا هذا الاسـم على من كان جيد الروية في استباط ماهو شر بل يسمونه نكراً وداهية.[٣٠]

هنا يؤكد الفارابي ان العقل هو الفاصل الذي يميز بين الخير والشر، فبالعقل يتجنب الشرور، فمن يستعمل جودة الرؤية بمعنى(جودة التفكير والتعقل للاشـياء) فـي افعـال الفضيلة(الخير) ليفعـل هـذا هو المتعقل(الشـخص الـذي يحكّم عقله) وان الشرير من وجهة نظر الفارابي وان يبلغ جودته في الرؤية في اسـتنباط الشـرور لا يطلق عليه التعقل[٣١].

وارسطو في هذا الموقف يرى ان العقل يدرك الماهيات مباشـرة،ويدرك الجزئيـات المتحققة فيهـا بانعكاسـة على الحـس الذي هـو مدرك الجزيئـات باعراضها.فالعقـل يـدرك الكليات والجزيئات جميعـاً ولكـن بأختلاف،فبأعتباره مـدركاً للماهيات في أنفسها،سـمي عقلاً نظرياً فـاذا ما حكـم علـى الجزيئـات بأنهـا خير أو شـر، فحرك النـزع اليها او النفور منها سـمي عقلاعملياً والفرق بين الحس والعقل،ان الحس يدرك اللـذات والآلام في ذاته اما العقل العملي فيدرك الخير والشـر من حيث هما كذلك وهما معقولات كالحق والباطل.[٣٢]

ونجد من الضروري ونحن نبحث في مفهوم فلسفة الاضداد في منطقيات الفارابي،ان نخوض في بعض المفاهيم المنطقية التي طرحها الفارابي في مؤلفاته المنطقية ومنها مثلاً:

البرهان المنطقي فقد عرفه الفارابي في كتابه(البرهان)(انه القياس) الذي يؤلف عن مقدمات يتيقن بها يقيناً ضرورياً[٣٣] وفي كتابه احصاء العلوم يذكره قائلاً انه(القوانين التي تمتحن بها الأقاويل البرهانية وقوانين الامور التي تلتئم بها الفلسفة،وكل ما تصير به افعالهم أتم وافضل وأكمل)[٣٤].

اهتم الفارابي بالبحث في المنطق الذي قسمه الى قسمين التصور والتصديق،فأدخل في التصور طائفة الافكار والتعريفات،وفي التصديق الاستدلال والرأي،والتصور لا يتحتم فيه الصدق او الكذب[٣٥].

وفي كتابه(احصاء العلوم)من البرهان ان يكون السبب في الوصول الى الحق او الباطل او الصدق والكذب او الصح والخطأ ونعتقد انه كان يقصد في الجزء الرابع من اجزاء المنطق(البرهان) انه الطريق اوالمنهج الذي يوصل العقل الانساني بأن يميز بين الافعال الكاملة(الصالحة)(اتمها)(الأكمل)(الفاضلة)كما وصفها في إحصاء العلوم،فهو قد وصفها بأنها التي تكمل او تلتئم بها مباحث الفلسفة تلك هي البراهين المنطقية التي يريد الفارابي الوصول اليها،بواسطة العقل طبعاً.

وهدفنا ايضاح حضور فلسفة الأضداد(الخير والشر)في فكر الفارابي المنطقي اذ اتضح الاثر المنطقي في اعادة تشكيل الابنية الفلسفية وعرضها باسلوبه الموسوعي.

المقصد الثاني: الخير والشر في الوجود عند الفارابي

تعد مشكلة الوجود(الالهي والطبقي) من أهم واسمى الافكار التي بحثها الانسان منذ اقدم العصور، وذلك لأهمية هذا الموضوع ولان الانسان بطبعه التفكر والتساؤل حول الموجودات التي حوله،ولان طبيعة الانسان الفطرية للتدين جعلته عاجز امام الوجود الاعجازي، لوجود اعلى وارفع واسمى منه واوسع منه فيلجأ اليه عند الحاجة او عندما تواجه الشدائد والمشكلات لذلك كانت مشكلة الوجود(الالهي والطبيعي) من اول المسائل واخطرها التي شغلت الفلاسفة والمفكرين العرب،هي وجود الله،ومع ذلك لم يكن وجود الله موضعاً للشك عند اي من الفلاسفة وان اختلفوا في وسيلة اثبات هذا الوجود فقد اتفقوا جميعا على حقيقة الوجود.

يجمع العديد من المفكرين في ان فلسفة الفارابي الوجودية اتضحت من محاولته للأجابة عن صدور الموجودات الكثيرة والمتنوعة عن مصدرها الاولي وهو الواحد الاول،(الله) وخير دليل مستنبط من مؤلفات الفارابي،ففي كتابه((أراء اهل المدينة الفاضلة ومضاداتها))نجد تداخل فلسفته الميتافيزيقيه والطبيعية والنفسية والاجتماعية والسياسية والخلقية،ولتداخل هذه الجوانب لا بد أن نقف عند(الدليل الوجودي) او(البرهان الوجودي) او(الموجود الاول) والسبب الاول لوجود سائر الموجودات الا وهو(الله) عند الفارابي،فهو يقسم فلسفة الوجود من خلال المصطلحات الاتية(الله، العالم)[٣٦].

وما نعنيه بالدليل الوجودي عند الفارابي هو البرهان على التوحيد بين الذات والصفات بواجب الوجود والتوحيد بين ماهيته ووجوده[٣٧] ومبحث الالهيات استوقف العديد من الباحثين[٣٨] في فلسفة الفارابي، فمثلاً نظله الجبوري[٣٩]) ترى انه في هذا المبحث استطاع بناء نظرية في صدور الموجودات تعرف بـ(نظرية الفيض او الصدور الفارابية) فهو يعد رائداً لهذه النظرية في الفلسفة الإسلامية[٤٠]

ففي الباب الاول من كتابه((اراء اهل المدينة الفاضلة ومضاداتها))قائلاً:

((الموجود الاول هو السبب الاول لوجود سائر الموجودات كلها))[٤١] ففي هذا النص وما يليله من هذا الباب،يؤكد الفارابي على عدة نقاط مثلاً:

١-ان صدور الكائنات من الاول يولد جميع اصناف الموجودات في الكون بالضرورة،فهو نتيجة تلقائية للفيض المنحدر منه،فالاول،انما هو في غنى عن جميع الوسطاء والاعراض والأدوات[٤٢].

٢-ان اول ما يصدر عن(الموجود الاول) هو(العقل الاول)وهو قادر على ادراك موجوده وادراك ذاته،وعليه فالله اول الوجود وهو واحد بسيط منزه عن انحاء النقص،فهو تام وفي كمال الوجود فالله في ارفع المراتب، وهو ازلي ودائم الوجود بجوهرة وذاته ولا يشبه اي موجود اخر فلا يمكن ان يكون شي مثله،وعليه فهو عقل محض،وفعل محض وهو عاقل ومعقول وعقل في ذاته لان العقل هو الموجود الوحيد الذي لا يحتاج في قوامه الى مادة او صورة.[٤٣]

٣-والعقل عند الفارابي هو((هيئة ما في مادة لأن تقبل رسوم المعقولات[٤٤]

٤-فالفارابي يرى ان العقل نوعان: عملي وهو الذي يعلم الجزئيات ويميز بين الجميل والقبيح،ويستنبط ما يجب فعله من الاعمال الانسانية، فهو اذن مبدأ السلوك الاخلاقي ومبدأ استنباط الصناعات الانسانية العملية، والعاقل عنده من كان فاضلاً وجيد الرؤية في استنباط ما ينبغي ان يكون عليه من خير ويتجنب الشر[٤٥].

ونظري الذي يدرك الكليات ويميز بين الحق والباطل وهو اصل وفروع،الاصل قوة النفس التي يحصل للأنسان اليقين،ثم تأتي الفروع وهي درجات اربع(عقل بالقوة، عقل بالفعل،عقل مستفاد،العقل الفعال)[٤٦]

٥-والفارابي يذكر في كتابه(اراء اهل المدينة الفاضلة ومضاداتها في الباب الاول قائلاً(وهو بريء من أنحاء النقص... اما واحداً واما أكثر من واحد. واما الاول فهو خلو من انحائها كلها،فوجوده افضل الوجود، واقدم الوجود ولا يمكن ان يكون وجود افضل ولا اقدم من وجوده. وهو فضيلة الوجود في اعلى انحائه،وفي كمال الوجود في ارفع المراتب ولذلك لا يمكن ان يشوب وجوده جوهره عدم اصلاً)[٤٧]

فوجوده تام وفي كمال الوجود فالله ارفع المراتب وهو ازلي ودائم الوجود بجوهرة وذاته ولا يشبهه اي موجود اخر فلا يمكن ان يكون شي مثله فلا شريك له ولا حول وليس وجوده ماده او صورة فهو عقل بالفعل عقل محض وفعل محض وهو عاقل ومعقول وعقل في ذاته لأن العقل هو الموجود الوحيد الذي لا

يحتاج في قوامه الى مادة او صورة[٤٨].

وبذكر الفارابي في كتابه(احصاء العلوم) في الفصل الرابع منه قائلاً:(والعلم الالهي ينقسم الى ثلاثة اجزاء:

احدهما – يفحص فيه عن الموجودات والاشياء التي تعرض لها بما هي موجودات.

والثاني – يفحص فيه عن مبادئ البراهين في العلوم النظرية الجزئية وهي التي ينفرد كل علم منها بالنظر في موجود خاص....

الجزء الثالث – يفحص عن الموجودات التي ليست بأجسام).[٤٩]

في هذا النص أراد الفارابي ان يوضح العلم الالهي او الالهيات الميتافيزيقا او الفلسفة الأولى او الفلسفة العامة هو العلم الذي يبحث في ماوراء الطبيعة والجزء الثاني من العلم الالهي اراديه(الجوهر)العلم بما هو موجود فهو يبحث في الجوهر وعللَه ولواحقه الكليه،اما الجزء الثالث فأراد بها الموجودات التي ليست بأجسام ولا في اجسام وهي الله واالعقول الثواني والعقل الفعال والنفس...الخ نظريته الفيضه التي وصفها بفكر فلسفي واعٍ، منفتح،لا تقيد فيه وانما بشمولية للأفكار والفلسفة التي أراد بها الفاربي ان يشرح بها الموجودات.

فالله عنده هو الموجود الاول الذي افاد كل واحد منه وانه الحق الذي افاد كل ذي حقيقه وهو الكمال بذاته.[٥٠]

اذ اراد في بحثه بمسالة(الوجود الالهي)ان يطبق اتجاهين:

اتجاه منطقي اعتمده في تحديد الكائنات الواجبة والممكنة واتجاه لاهوتي عالج الفارابي فيه ماهية وصفات وعلاقة الله بالعالم الذي ابدعه[٥١]. ان الفارابي في تحليلة لموضوع الالوهية الذي كان ولا زال من القضايا التي شغلت العقل الانساني،جعلت من المفكر ابراهيم مدكور في بحثه((مكانة الفارابي في المدرسة الفلسفية العربية))ان يعد تحليل الفارابي لموضوع الالوهية اساس كل مباحث الالهيات في المدرسة الفلسفية العربية.[٥٢]

فالفارابي لم يتساءل طويلاً اذا كان هنالك من خالق للكائنات فهو مؤمن ايماناً قوياً في قراره نفسه انه لا بد من خالق. واذا كان ايمانه به لايحتاج الى برهان،فأنه يعتقد ان العقل قادر على أعطاء البراهين على وجود الخالق مما يزيد قناعته به.[٥٣]

يستند الفارابي في تفسيره للوجود على برهانين لا ثبات وجود الله:

البرهان الاول: ينظر الفارابي الى الموجودات فيجد ان بعضها علة للاخرى اي ان كل موجود لا بد ان تتقدم وجوده علة. غير ان سلسلة العلل لا يمكن ان تستمر الى مالا نهاية، معنى ان لكل موجود صانعاً او سبباً يسميه الفارابي(واجب الوجود) الذي لا علة لوجوده،وانما علته بذاته. وهكذا الموجودات عنده اما واجب الوجود او ممكن الوجود[٥٤].

البرهان الثاني:وهذا يعتمد على البرهان الاول، اذا وجد اصبح واجب الوجود بغيره،واذا ظل في مجال الامكان، كان ممكن الوجود فحسب ومن ثم فأن وجوده وعدمه متعادلات اي انه يمكن ان يوجد ويمكن ان لا يوجد.[٥٥]

نجد ان الصفة المنطقية العقلية واضحة في

ارائــه الوجودية، وهذا ما ســنجده في ارائه في النفس والاخلاق والسياسة ايضاً.

يذكر الفارابي في رســالة(عيون المســائل) ((فالواجــب الوجــود بذاتــه منى فــرض غير موجــود لزم عنــد محالة،ولا علــة لوجوده،ولا يجــوز كون وجوده بغيره،وهو الســبب الأولى لوجود الاشياء ويلزم ان يكون وجوده اول وجود وان ينــزه عن جميع انحاء النقص،فوجوده اذن تام،ويلزم ان يكون وجــود اتم الوجود،ومنزهاً عــن العلل،مثــل المادة،والصورة،والفاعل ولا ماهية،.....ولا ضد له،وهو خير محض،وعقل محض، ومعقــول محض،وعاقل محض وهذه الاشــياء الثلاثــة كلهــا فيــه واحــد وهــو حكيم وهي..))[٥٦]

وهنا صورة واضحة لدليــل العناية الالهية والغائبة عند الفارابي[٥٧] فهو من اوائل الفلاسفة العــرب الذين اكدوا علــى القول بالغائبة في في الكــون والنظام،فــكل غايــة فهي خيــر مطلق وعنايته الله محيطه بجميع الاشياء ومتصلة بكل واحد.[٥٨]

ونتفــق مع من ســبقنا فــي البحث،بأن اراء الفارابــي جــاءت نتيجــة لمؤثــرات اســلامية واضحــة في فلســفته الوجودية لا ســيما ونحن نعرف جيداً ان(القران الكريم) و(السنة النبوية المطهرة) كلها تدعو الى الخير واجتناب الشر، فكانت الاجواء الاســلامية خير مستنبط لافكار الفارابي في فلسفته بشكل عام.

المقصد الثالث: الخير والشر في النفس البشرية عند الفارابي

ومــن خلال البحــث في(النفــس) نكون قد تحولنا الى الخوض في جوهر مبحث الانســان عنــد الفارابي،ورغم ان الانســان يشــترك مع الحيوانــات الاخرى فــي وجود النفــس الا انه أمتــاز عليهــا بوجود قوة العقــل التي وهبها الله ســبحانه وتعالى لعباده ففي كتابــه المجيد يذكر في ســورة التكوير قولــه تعالى(علمت نفس ما احضرت)[٥٩] ويفســرها كتاب(تنوير الاذهان) ان النفــس تعلم ما احضــرت اعمالها من الخير والشــر، فأن كانت صالحة تشاهدها على صور احســن،لأن الطاعات لا تخلو فيها من المشقات وان كانت سيئة تشاهدها بأقبح صورة.[٦٠]

وقوله تعالى في ســورة الشمس(ونفس وما ساها فالهمها فجورها وتقواها)[٦١]

وهنــا ايضــا النفــس ألهمهــا الله أي أفهمها وعرضها بحالها من الحســن والقبح والالهام لا يكون الا في الخير،فلا تعال في الشــر، ألهمني الله كذا والمراد من قوله تعالى(فألهمها فجورها وتقواها) بمعنــى تجنب الفجور وتقواها لتعمل بــه. فلها ان تاتي الــى الخير او تذر عن اثر او طاعة او معصية.[٦٢]

ممــا تقــدم امتزجت الافكار الاســلامية مع العقل الفلســفي عنــد الفارابي،فظهرت فلســفته لمفهوم(الخير والشر) في النفس الانسانية مزيج من عقليته المنطقية والالهية والاخلاقية وهذا ما فسره الفارابي في العديد من مؤلفاته.

ففي رسالة عيون المســائل يذكر(والانسان من جملــة الحيوان خواص بان به نفســاً تظهر منها قــوى بها تفعل افعالها بــالالات وله زيادة

قوة بــان تفعل لا بالة جســمانية وتلك قوى قوة الفعل)[٦٣] يرى الفارابي انها انواع منها: القوى المدركــة والقوى الظاهرة والاحســاس الباطنة والمتخيلة(الوهم) والشهوانية والغضبية[٦٤].... ويعرف الفارابي النفس(انها استكمال اول لجسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة)[٦٥]

يريد الفارابي من النفس ان تتحرر من قيود المادة وشرورها لكي تصبح عقلاً كاملاً،اي ان لا تحتاج الى مــادة،وان النفس تبلغ ذلك الكمال بافعال إرادية وبدنية، فالســعادة لا تأتي الا عن طريق العقل والحكمــة والتأمل اولاً ثم الابتعاد عن الاعمال القبيحة والشهوات ثانياً.

وهذا ما اتضح مــن تعريفه للنفس الذي هو تعريف ارسطو اصلا على ان الفارابي يؤكد ان النفس جوهر بسيط روحاني يختلف عن الجسد وهنا تأثر بأفلاطون[٦٦]،اذن تأثيرات ارســطو وافلاطون واضحة في تعريفه للنفس وانواعها.

يقول ناجي التكريتي[٦٧] في كتاب(الفلســفة الاخلاقيــة الافلاطونية عند مفكري الاســلام) (في تعريف النفس يحاول الفارابي التوفيق بين كل من تعريف افلاطون وارســطو للنفس فمن جهــة يقول افلاطــون – ان النفــس العاملة هي النفــس صورة وكمال للبدن وانهــا لاتوجد قبله وان المادة هي سبب الاختلاف بين افراد النوع الواحد))[٦٨]

وهذا التوفيق بين رأي ارســطو وافلاطون واضــح مــن كلام الفارابي في كتابه(السياســة المدنيــة) فــي الباب الاول يــرى ان النفس لها مراتب عديدة ان الاجســام الســماوية والحيوان الناطــق والغير ناطــق فالناطقة(القــوة الناطقة والنزوعيــة والمتخيلــة والحساســة ويــرى ان النفس الناطقة هي التي تميز بين الجميل والقبيح من الافعال والاخلاق وبها يدرك النافع والضار بمعنى الذي يوصل للخبر او الشر[٦٩]

والخيــر يوصل الى الســعادة،بحيث تصبح النفس الانســانية من الكمال فــي الوجود بحيث لا نحتــاج فــي وجودهــا الى مــادة، والســعادة هــي الخيــر المطلــوب لذاته فهي خيــر لا جل الســعادة،والافعال التي تعوق عن الســعادة هي الشرور وهي الافعال القبيحة.[٧٠]

يســتنبط الفارابــي في ان الســعادة تأتي من النفس العاقلة وهي النفس المواضبه على اعتياد شيء كشيء من جنس العمل الارادي ويرى ان للنفس اجزاء هي مبادي المتعقل والداهي.[٧١]

فالمتعقــل هــو الحكيم الذي يطلب الســعادة والخير والحق والجمال اما الداهي فهو المتهور الذي يطلب التعاسة والشر والباطل والقبح.

والفارابي يميز بين ثلاثة أنواع من النفوس وهي[٧٢]

نفوس خالــدة وهي التي وصلت الى الكمال من المعرفــة والعمل واســتحقت الوصول الى السعادة والخلود فيها.

نفــوس خالدة حصلــت على معرفــة الخير ولكنهــا اعرضــت عند ولم تعمل به بل ســلكت طريــق الغواية وهــذه النفوس فاســدة تخلد في شقاء لانها لم تربط بين المعرفة والتطبيق.

نفوس فانية وهي النفوس الجاهلة التي لم تعرف الخيــر ولم تبحث عنه فبحثــت بحالتها الهيولانية ففسدت بفساد الجسد ويكون مصيرها الفناء التام.

وقــوى النفس عند الفارابــي متدرجة فالقوة الســفلي هي مــادة للقــوة العليــا والعليا شــكل

للسفلى،وارقى هذه القوى جميعا الفكر، وهو غير مادي وهو شكل لكل الاشكال السابقة، وحياة النفس ترتفع من الاحساس بالاشياء الى الفكر بقوة التصور والتمثيل،وفي كل القوى يوجد المجهود او الارادة، فمثلاً ان الفكر يحكم على الخير والشر ويعطي للارادة الاسباب التي تعول عليها،فكل ادراك او تمثيل او فكر لا بد له من مجهود ليصل الى النتيجة فالنفس تكمل وجود الجسم،والذي يكمل النفس هو العقل،والعقل هو الانسان.[٧٣]

(ولا يجوز انتقال النفس من جسد الى جسد كما يقول التناسخيون.وللنفس بعد موت البدن سعادات وشقاوات، وهذه الاحوال متفاوته للنفوس، وهي أمور لها مستحقة،وذلك لها بالوجوب والعدل، كما يكون إنسان لا يحسن تدبير صحة البدن فمن تلك الجهة يأتي مرض بدنه. والتوفيق في الأمور بيد الله، وكل ما يسر لما خلق له وعناية الله تعالى محيطه بجميع الأشياء،ومتصلة بكل أحد،وكل كانت فبقضائه وقدره،والشرور أيضا بقدره وقضائه، لان الشرور على سبيل التبع للأشياء التي لابد لها من الشر، والشرور واصلة الى الكائنات الفاسدات. وتلك الشرور محمودة على طريق العرض، إذ لو لم تكن تلك الشرور اليسيرة لم تكن الخيرات الكثيرة دائمة، وان فات الخير الكثير الذي يصل الى ذلك الشيء لاجل اليسر من الشر الذي لا بد منه كان الشر حينئذ أكثر[٧٤]

وهنا دليل يضعه الفارابي بأن النفس تبقى بعد فناء البدن(الجسد)،والحقيقة ان اراء الفارابي تضاربت ارائه حول مسألة مصير النفس بعد الموت،فهو لم يتخذ رأياً صريحاً لانه لم يتحرر تماماً من مذاهب ارسطو في طبيعة النفس وخلودها ولم يخالف تعاليم الدين الاسلامي.

فالنفس على كثرة قواها واختلاف أجزائها، لاتؤلف الا نفساً واحدة،ذلك لان هذه القوى مبنية بعضها على بعض،بحيث تكون الواحدة منها متممة للاخرى وصورة لما دونها ومادة لما فوقها فهذا الاتصال بين جميع قوى النفس يدل على ان هذه القوى ليست سوى اجزاء مختلفة لجوهر واحد.[٧٥]

فميز الفارابي بين النفس الانسانية التي لا تفنى بفناء الجسد،وبين النفس النباتية والحيوانية،ورأى ان النفس النباتية هي الادنى تليها الحيوانية،والنفس الانسانية تعد أرقى وارفع، والفارابي في دراسته لمبحث النفس يبني فلسفته على اساس اخلاقي فالسعادة وهي الخير المطلق وغاية الغايات ومنتهى الرفعة الانسانية وجنة الواصلين،ثم يقرر من جانب اخر ان السعادة والخلود ليس لكل النفوس الانسانية،بل النفوس الطاهرة منها فقط ويصفها بالمقدسة.[٧٦]

ويرى ناجي التكريتي أن الصحة والمرض عند الفارابي تقوم في النفس والجسد اما امراض النفس تحدث من فعل الأفعال الشريرة ولهذا نجد الفارابي يؤكد على الفضيلة فمنها نصل الى السعادة القصوى التي من خلالها تتحرر النفس من قيود المادة وتذهب الى السعادة وهي الخير المطلوب لذاته.[٧٧]

المقصد الرابع: الخير والشر في الاخلاق والسياسة

لايخفى علينا ان الفارابي يعد أول من صاغ الفلسفة الاسلامية في ثوبها الكامل ووضع

اصولهـا ومبادئها فـي أغلب المشـكلات التي كانت تواجه الفلسفة الإسلامية[٧٨]

والمسـائل الاخلاقيـة عند الفارابـي تتعلق بمسـألة النفـس فكل مـا يتعلق بالاخـلاق مثلاً السعادة واللذة والالم والفضيلة والرذيلة والخير والشر وغيرها، انما تكون بحسب طبيعة النفس وسـلوكها، اذاً النفس مرآة يجب صقلها بالعلوم والمعارف.[٧٩]

ويرى احمـد أمين فـي كتابه(الاخلاق) أن الفارابـي أشـهر من بحـث في الاخـلاق بحثاً علمياً[٨٠].

فالفضيلة عنده اساس في الاخلاق، واساس في السياسـة ومايشـمل العلم المدني،ويمكن ان يقال ان الفلسفة الفارابية« فلسفة الفضيلة« فمن الجائـز أن يكتب« لايقبـل هنا من ليس من اهل الفضيلـة« فلا اخلاق ولا ديـن ولاحياة مدنية ولاسعادة من دون فضيلة والفضيلة عنده وسطا بيـن الافـراط والتفريط فالكرم مثلا وسـط بين البخل والتبذير[٨١]. ففي قوله تعالى **عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ سورة التكوير(١٤)**[٨٢].

ويؤكـد الفارابي فـي كتابـه« التنبيه على سـبيل السـعادة» ان غاية الانسـان التي ينبغي الوصول اليها السعادة وتعد لديه الهم الاقصى، وغاية الغايات في حياتنا ولكي تتحقق السـعادة لابد من حضـور مفهوم التفاهـم والتعاون بين الافـراد وبين المدن وبيـن الامم وعند تحصيل التعـاون يصـل الـى اوج الكمـال اي تتحقـق السـعادة القصوى وهذه جوهر صفة« المدينة الفاصلة» تتحقق السعادة والخير الاسمى.

والخبر هـذا يتحقق بالتعـاون والتفاهم بين الافـراد والمدن والامم التي تعد شـريطة مهمة في المجتمع الفاضل[٨٣].

الاخـلاق فـي نظـر الفارابـي اسـاس السلوك،ولهذا نجد ان العمل والتجربة مفهومان مهمان في مبحث الاخلاق فهو يوافق افلاطون حينا وارسطو حيناً اخر،ولكنه يتجاوز آراءهما بمـا أكتسـبه من تصـوف ويؤكـد أن العقل به نستطيع ان نفرق بين الخبر والشر[٨٤].

يذكـر الفارابي في كتابه تحصيل السـعادة، قائلاً:« وتنقسم القوة الفكرية هذه القيمة فتكون الفضيلة العسـكرية هي التي تستنبط ما هو انفع فـي غاية ما فاضلـة. واما القـوة الفكرية التي تستنبط بها ماهو أنفع في غاية هي شر، فليست هـي فضيلة فكرية، بل ينبغي ان تسـمى بأسـم آخر. ..؟[٨٥].

ويصـف الفارابي(الخبـر) بأنـه الفضيلـة والنافـع والضـروري والمشـترك والاجمـل والغايـة أي الهدف الذي يرجـوا الوصول إليه ويصفها بالسـبيل اي المنهـج او الطريق وتعد المشتركات للأمم الفاضلة.

وفـي نـص للفارابي فـي كتابـه« فصول متنوعة فـي علم الاخلاق» يذكـر عدة حقائق منها[٨٦]

الفضائـل صنفـان خلقيـة ونطقيـة بمعنى اصحاب العقل والحكمة وجوده الفهم. والخلقية العفه والشجاعة والسخاء والعدالة.

الفضائـل والرذائـل: الفضائـل الضابـط لنفسه والفاضل فهو بفعل الخيرات وهو يهواها ويشـتاق لها فهـو طبعه اما الشـرور تزال عن المدن اما بالفضائل التي تمكن في نفوس الناس واما أن يصبحوا ضابطين لانفسـهم والشخص

الذي لا يضبط نفسه يخرج من المدينة بمعين أن الشر قد سيطر على نفسه فهو مطرد من المدينة الفاضة لامكان له.

يرى الفارابي ان الافعال التي هي خيرات هي الافعال المعتدل المتوسط بين طرفين فمثلاً الصفة فأنها صفة وسط بين الشر وعدم الاحساس باللذة.

وبالعقل وحده تستطيع ان تحكم افعالنا للوصول الى الخيرات والسعادة.

ويعد الفارابي صاحب نظرية كاملة في الوسط الاخلاقي،وأكثر الفلاسفة المسلمين دقة وتفصيلاً لهذه الفكرة[٨٧]، أذ اجاد في الربط بين مسألة النفس الانسانية والاخلاق وبين هذين والسياسة.

يعرف الفارابي الاخلاق في كتابه التنبيه على سبيل السعادة" أن الاخلاق كلها الجميل منها والقبيح"[٨٨].

وأن الخلق هو الذي به تصدر عن الانسان الافعال الصحيحة والحسنة بمعنى ادق هو الذي به تكون عوارض النفس الانسانية جميلة وقبيحة وهذا ما استنبط من نص الفارابي فالخلق الجميل وقوة الذهن هما جميعاً الفصيلة الانسانية بها تكسب الجودة والكمال في ذاته ويؤكد الفارابي ان السعادة من بين الخيرات اعظمها خيراً وغاية الانسان التي يتشوفها دوماً[٨٩].

يرى الفارابي ان الانسان مفطور على الاجتماع مع الاخر، فالانسان مهما عظمت ملكاته فأنه يحتاج الى الآخر ليكمل فطرته الطبعية، وهكذا لاينال الانسان الكمال الا بعد ان يجتمع مع الجماعة فيحصل بالتعاون مع الاخرين احتياجاته وكمالاته ويجتمع الانسان تكون المعمورة من الارض وتحدث الاجتماعات الإنسانية[٩٠].

فكرة الفارابي من التجمع هو لتحقيق الخبر الافضل والكمال الاقصى اما ينال بتحقيق المدنية، وأن الخير عنده ينال بالاختيار والارادة، وكذلك الشرور انما تكون بالارادة والاختيار،وهذا أكيد وجدنا عندما أكد على دور العقل في جوهر فلسفته العقلية،والفارابي هنا إرادي وليس جبرياً، فالانسان يستطيع بأرادته وحريته ان يعمل الفضائل ويأتي بالخير ويبتعد عن الشرور هذا اذا اراد الفرد ان يحكم عقله(الحكمة والعقل) ليسير الى طريق الكمال ويبلغ السعادة القصوى، كذلك في الوقت نفسه بالاختيار يكون شريراً عندما يسير الى طريق الرذائل وتجنب البر والخير[٩١].

يهدف الفارابي الى السعادة التي من خلالها يحرر الانسان نفسه من المادة كي تصل النفس الى العقل الكامل، أي ان تصبح النفس الى درجة الكمال وأن تتخلص من المادة، فالمادة عند الفارابي هي سبب الشرور في النفس،وأن السعادة عنده تتحول عن طريق الحكمة والتأمل،والتي تؤدي الانسان الى الابتعاد عن الاعمال السيئة وعن الشهوات وشرورها، فالسعادة اعلى درجات الخير،وأن الانسان الذي يسعى الى الخير تكمل سعادته، أذن على الانسان ان يمارس عمل الخير بافعاله الحميدة.

وأن كل انسان قادر على عمل الخير وتجنب الشر من اجل ان يحصل على السعادة. ويؤكد الفارابي ان الاستمرار بعمل الخير والافعال الحميدة ما تلبث ان تصبح هذه الصفات ملكة

في أكتساب الاخلاق الحميدة،وأن السعادة تنال بممارية الفضائل الخيرة[٩٢].

يذكر الفارابي في كتابه آراء أهل المدينة الفاضلة، قائلاً:" السعادة هي الخير المطلوب لذاته،.... والافعال الارادية اليت تنفع في بلوغ السعادة هي الأفعال الجميلة والهيئات والملكات التي تصدر عنها هذه الافعال هي الفضائل. وهذه خيرات هي لا لأجل ذواتها بل أنما هي خيرات لأجل السعادة. والأفعال التي تفوق عن السعادة هي الشرور،وهي الافعال القبيحة. والهيئات والملكات التي عنها تكون هذه الافعال هي النقائص والرذائل والخسائس»[٩٣].

بحيث يقاس العمل بعناية ونفعه وبعقلانية واتقانه للصنع وبأتلاف اعضاء الافراد في مجتمع المدنية التي ترتبط افرادها بروابط المحبة والعدل وافعال اكبر، وعن اطماع هذه الصفات والافعال تتحقق الفضيلة التي تهدف الى معرفة الانسان والعالم وعلاقته بالمواجهة الاول وحتى ما اتفقت آراء أهل المدينة حول هذه الامور حققت المدنية سعادتها المطلوب وأهم صفة من تلك الصفات هي(العدل) حيث يقصد الفارابي(الخيرات) هي الاموال والمراتب[٩٤]، هنا يريد الفارابي بالعدالة والخير لا زيادة ولا نقصان أعطاها صفة أكبر والعدل والحق والسعادة.

يذكر الفارابي في كتابه آراء أهل المدينة الفاضلة، قائلاً:« والسعادة هي الخير المطلوب لذاته،. .. والافعال الارادية التي تنفع في بلوغ السعادة هي الأفعال الجميلة» والهيئات والملكيات التي تصدر عنها هذه الأفعال هي الفضائل. وهذه خيرات لأجل السعادة، والافعال التي تفوق عن السعادة هي الشرور،وهي الافعال القبيحة. والهيئات والملكات التي عنها تكون هذه الافعال هي النقائص والرذائل والخسائس[٩٥].

اراد الفارابي في هذا النص أن يؤكد أن السعادة التي يريد الانسان الوصول اليها دووم هي سعادة(الخير) فبالخير وحده تعم السعادة والافعال النافعة التي تمس حياة البشر والتي يحبها الناس لانها تقع عليهم بالمنفعة والرزق والخير الذي يشعرهم بالسعادة ونجد أن الرسول محمد[٩٦]يذكر لنا حديث" أحب الناس الى الله أنفعهم للناس" هذا ما حاول الفارابي ان يطبقه في فلسفته الخيرية، يريد ان يربط فلسفة الخير بالمنفعة وهذه المنفعة يربطها بالحب اذا لايمكن ان يتخيل منفعة وخير بدون حب وسعادة.

ومن جانب أخر نجد الفارابي ان الافعال التي تعوق في طريق تحقيق الخير والسعادة، الافعال الفاسدة والشريرة، والرذيلة، النقائص هذه الافعال تقف في تحقيق الخير، متى ما تواجدت هذه الافعال والصفات في الفرد نستنتج عدم وجود الخير وعدم تحقيق السعادة.

وهذا ما اراده الفارابي في المقصد الرابع الخير والشر في الاخلاق.

الهوامش

(١) يوحنا بيداويد، مفهوم الخير والشر عبر التاريخ، استراليا، ٢٠٠٨، مقالة في الانترنيت على موقع www.inkawa.com

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الغنوصية: هي فرق دينية متعددة الصور تمثل ميول العصر يدل اسمها على اللفظ اليوناني(المعرفة)(العرفان الحق÷، يراجع كرم: د. يوسف، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار العلم، بيروت، ص٤٤-٤٦.

(٤) الزرادشنية: ديانة ايرانية وهي احدى اقدم الديانات التوحيدية مؤسسها زرادشت تعظم الطبيعة ولاسيما النار ويعتبرونها النار والماء ادوات من طقوس الطهارة الروحية.

(٥) المانوية: مؤسسها ماني بن مالك، المانوية قالت بما قالت به الزرادشية نور وظلام والناس عندهم طوائف.

(٦) الجابري: د. علي حسين، الحوار الفلسفي بين حضارات الشرق القديمة وحضارة اليونان،ودار الكتاب الثقافي، الاردن، ٢٠٠٥، ص٤١.

(٧) التكريتي: د. ناجي، الفلسفة الاخلاقية الافلاطونية عند مفكري الاسلام، ط١، دار الاندلس، بغداد، ١٩٧٩، ص١١.

(٨) بدوي: د. عبد الرحمن، ربيع الفكر اليوناني، ط٥، دار القلم، بيروت، ١٩٧٩، ص٩١.

(٩) غالب: د. مصطفى: أفلاطون، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٧٩، ص٦٨-٦٩.

(١٠) يوحنا بيداويد: مفهوم الخير والشر عبر التاريخ، مصدر سابق.

(١١) القرآن الكريم سورة الرعد أية: ١١.

(١٢) القرآن الكريم، سورة الشمس أية:٧- ٨.

(١٣) الجندي: د. أنعام، دراسات في الفلسفة اليونانية والعربية، مؤسسة الشرق للمنشورات، بلا، ص٦٦.

(١٤) الجبوري: د.نظله، الفسفة الإسلامية،ص١٧٦.

(١٥) الفارابي:رسالة في العقل،تحقيق موريس بويج،دار المشرق،بيروت،١٩٨٣،ص٤.

(١٦)عبد الحسن: د.لاهاي،الملامح الاجتماعية في اعمال عدد من الفلاسفة المسلمين،الموسوعة النظامية رقم(٢٩)ط دار الشؤون الثقافية،بغداد، ٢٠٠٦،ص٤٤-٤٥

(١٧) الجبوري: د.نظله، الفلسفة الإسلامية، ص١٧٦.

(١٨) المصدر نفسه،ص١٨٠

(١٩) مرحبا:د.محمد عبد الرحمن، من الفلسفة اليونانية الى الفلسفة الإسلامية،ط١،منشورات عويدات، بيروت،١٩٧٠،ص٣٧٨-ص٣٨١. وانظر: أل ياسين: د.جعفر: فيلسوفان رائدان ص١٣٣-ص١٤١.

(٢٠) والجبوري: د.نظلة:الفلسفة الإسلامية، ص١٨٠-ص١٨١.

(٢١) صليبا،د.جميل: تاريخ الفلسفة الإسلامية، ص١٤٣.

(٢٢) حسين علي محفوظ،جعفر ال ياسين،مؤلفات الفارابي،مطبعة الاديب،بغداد،١٩٧٥،ص٢٦-ص٣٠وينظر نضال ذاكر عذاب،نظرية البرهان المنطقية عند الفارابي وموقف ابن سينا وابن باجة منها،ط١،بيت الحكمة،بغداد،٢٠١٠،مؤلفات في المنطق ص١١١- ص١١٥.

(٢٣) الفارابي،القياس الصغير على طريق المتكلمين،ضمن كتاب منطق الفارابي،ج٢، ت،رفيق العجم، دار المشرق، بيروت- لبنان،١٩٨٦، ص٢٨- ص٢٩.

(٢٤) الفارابي،التنبيه على سبيل السعادة،ت جعفر ال ياسر، ط١، ج١، دار المناهل،

بيروت،١٩٩٢،ض٢٦٠.

(٢٥) المصدر نفسه،ص٢٦١.

(٢٦) المصدر نفسه،ص٢٥٩وص٢٦١.

(٢٧) الفارابي: التنبيه على سبيل السعادة،ص٢٦٧.

(٢٨) آل ياسين:د.جعفر،الفارابي في حدوده ورسومة،بيروت،١٩٨٥،ص٢٢٨.

(٢٩) ارسطو طاليس،كتاب الاخلاق،ت اسحق بن حنين، ت د.عبد الرحمن بدوي،الكويت،١٩٧٩،ص٥٣.

(٣٠) الفارابي،فلسفة ارسطو طاليس،ت،محسن مهدي، دار مجلة شعر،بيروت-لبنان١٩٦١، ص٨٥.

(٣١) الفارابي: رسالة في العقل،دار المشرق، لبنان،١٩٨٦، ص٤-٥.

(٣٢) المصدر نفسه،ص٧.

(٣٣) كرم:يوسف،تاريخ الفلسفة اليونانية،ج١-٢،دار القلم،بيروت،بلا،ص١٦٤.

(٣٤) الفارابي: البرهان(ضمن كتاب المنطق عند الفارابي)،ت د،ماجد فخري،دار المشرق،بيروت،١٩٨٦،ص٢٦.

(٣٥) الفارابي،احصاء العلوم، قدمه وشرحه د.علي بوم لحم،ط١، دار ومكتبة الهلال،بيروت،١٩٩٦، ص٤٥.

(٣٦) جمعة: د.محمد لطفي: تاريخ فلاسفة الاسلام في المشرق والمغرب،القاهرة،٢٠١٦،ص٥١.

(٣٧) الفارابي: اراء اهل المدينة الفاضلة ومضاداتها،ت.دعلي بوم لحم، دار ومكتبة الهلال،ط١ لبنان،١٩٩٥، ص٥ المقدمة.

(٣٨) عريبي:محمد ياسيني،الدليل الوجودي عند الفارابي واثره في فلسفته الطبيعية، الفارابي والحضارة الانسانية، دار الحرية للطباعة،١٩٧٥، ص٢١٠

(٣٩) العديد من الباحثين والمفكرين يتوقف عن الهيات الفارابي او نظرية الفيض الفارابية منهم: ١- ماجد فخري في كتابه تاريخ الفلسفة الاسلامية،ص١٩٠وص١٩٢-ص١٩٥.

(٤٠) عبد المنعم حمادة في كتابه من رواد الفلسفة الاسلامية،ط١،مكتبة الانجلو المصرية،ا لقاهرة،١٩٧٣،ص١٤٤-ص١٤٨. ٣-د.موسى الموسوي،من الكندي الى ابن رشد،ط٢،دار عويدان،بيروت،١٩٧٧،ص٩٠ وص٩٥- ص٩٩.

(٤١) حنا الفاخوري،خليل الجر، تاريخ الفلسفة العربية،ج٢،دار الجيل،بيروت،ص١٠٩-ص١٢٠.

(٤٢) جميل صليبا،تاريخ الفلسفة العربية،دار الكتاب العالمي،لبنان، ١٩٨٩،ص١٤٧-ص١٥٤. ٦- أنعام الجندي،دراسات في الفلسفة اليونانية والعربية،مؤسسة الشرق للطباعة،ص٧٧-ص٩١.

(٤٣) محمد علي بويان،تاريخ الفكر الاسلامي في الاسلام،ط٢ دار النهضة العربية،لبنان،١٩٧٣، ص٢٤١-ص٢٥٠.

(٤٤) أ.د.نظلة احمد نائل الجبوري مواليد ١٩٥٦:باحثه عراقية استاذة مختصة بالدراسات الاسلامية متقاعدة لها العديد من البحوث والمؤلفات المنشورة.

(٤٥) الجبوري: د.نظلة،الفلسفة الاسلامية، ط١،مطبعة جامعة بغداد، ١٩٩٠، ص١٨١

(٤٦) الفارابي:اراء اهل المدينة الفاضلة ومضاداتها،ص٢٥.

(٤٧) فخري: د.ماجد،تاريخ الفلسفة الاسلامية، ص١٩٤.

(٤٨) الجبوري:د.نظله،الفلسفة الاسلامية،ص١٨٥.

-الفارابي:اراء اهل المدينة الفاضلة ومضاداتها، ص٩٦.

(٤٩) حماده: عبد المنعم،من رواد الفلسفة الاسلامية،ط١،مكتبة الانكلو المصرية

القاهرة،١٩٧٣، ص١٤٧.

(٥٠) المصدر نفسه: ص١٤٨-ص١٤٩.

(٥١) الفارابي: اراء اهل المدينة الفاضلة ومضاداتها، ص٢٥.

(٥٢) الجبوري: د.نظله،الفلسفة الاسلامية، ص١٨٥.

(٥٣) الفارابي: احصاء العلوم،قدم وشرحه. د.علي بوملحم ط١، دار ومكتبة الهلال،بيروت،لبنان،١٩٩٦، ص٧٥-٧٦.

(٥٤) المصدر نفسه : ص٧٦.

(٥٥) المراق: عبد الكريم،الالهيات عند الفارابي نتحت(الفارابي والحضارة الانسانية وقائع مهرجان الفارابي،دار الحرية،بغداد،١٩٧٥، ص٧٣

(٥٦) ابراهيم مدكور:مكانة الفارابي في المدرسة الفلسفية الاسلامية، ص٥٨.

(٥٧) الجندي:انعام،دراسات في الفسفة اليونانية والعربية،مؤسسة الشرق الاوسط القاهرة،بلا، ص ٧٧.

(٥٨) المصدر نفسه،ص٧٨.

(٥٩)المصدر نفسه،ص٧٨.

(٦٠)الفارابي،رسالةعيونالمسائل،الرسائلالفلسفية الصغرى،ت،د.عبد الامير الاعسم،ط١،دار التكوين،سوريا،٢٠١٢،ص٧٧- ص٧٩.

(٦١) ذكر العديد من الباحثين الذين تناولوا الفارابي ولا سيما في --- الالهيات انه اعتمد على ادلة كونية(دليل الحركة،دليل العلة التامة(الفاعلة) ودليل العناية والغائبة) وادلة عقلية منها(دليل الماهية والوجود ودليل الممكن والواجب، دليل المكن الوجود) الرجوع الى د.زينب عفيفي الفلسفة ---والالهية عند الفارابي،ص٣٤٩-ص٣٧٢.

(٦٢) عفيفي:د.زينب،الفلسفة الطبيعية والالهية عند الفارابي،ط١ مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،٢٠٠٩، ص٣٥٥- ص٣٥٦.

(٦٣) القران الكريم:سورة التكوير اية(١٤).

(٦٤) البروسوي: الشيخ اسماعيل حقي،تنوير الاذهان في تفسير روح البيان،الشيخ محمد علي الصابوني م٤،ط١ دار الوطنية للنشر والتوزيع،بغداد، ١٩٩٠،ص٥٠٠

(٦٥) القران الكريم: سورة الشمس الاية(٧-٨)

(٦٦) البروسوي: الشيخ،المصدر السابق،ص٥٥٤.

تفسير من الانترنت

(٦٧) الفارابي: رسالة((عيون المسائل))،ص٨٨.

(٦٨) المصدر نفسه: ص٨٨

(٦٩) الفارابي: رسائل في المسائل متفرقة، رسائل الفارابي،ت موفق فوزي،ط٢،دار الينابيع،سوريا،٢٠٠٨،ص٢٠٤.

(٧٠) ابو ريان: محمد علي،تاريخ الفن الفلسفي في الاسلام،ص٢٥١.

(٧١) ناجي التكريتي: استاذ فلسفة عراقي ولد في تكريت عام درس في جامعة بغداد من عام ١٩٧١- الى عام ٢٠٠٣ متقاعد حاليا له العديد من المؤلفات

(٧٢) التكريتي: د.ناجي،الفلسفة الاخاقية الافلاطونية عند مفكري الاسلام، ط١، دار الاندلس، بغداد،١٩٧٩، ص٣٠٧.

(٧٣) الفارابي: السياسة المدنية،قدمه وشرحه د.علي بوم لحم،دار ومكتبة الهلال،١٩٩٦، بيروت،ص٢٣- ص٢٤.

(٧٤) الفارابي: اراء اهل المدينة الفاضلة ومضاداتها، ص١٠١.

(٧٥) الفارابي: رسالة في العقل،ص٩-ص١٠.

(٧٦) ابو ريان: د.محمد علي،تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام،ص ٢٥٣.

(٧٧) جمعه:محمد لطفي، تاريخ فلاسفة الاسلام

في المشرق والمغرب،فروس لنشر، القاهرة،٢٠١٦، ص٧٣٠ ص٧٤.

(٧٨) الفارابي: رسالة عيون المسائل،ص٨٩.

(٧٩) صليب:د.جميل،تاريخ الفلسفة العربية،الشركة العالمية للكتاب، بيروت،١٩٨٩،ص١٥٨ - ص١٥٩.

(٨٠) مدكور:د.ابراهيم،في الفلسفة الاسامية منهج وتطبيق،دار المعارف المصري، مصر،١٩٦٨،ص٣٥- ص٣٧.

(٨١) التكريتي: د.ناجي،فلسفة الاخلاق عند مغيب بن الإسلام،ص٦١- مكتبة القرأن،ط١، ٢٠٠٩.

(٨٢) مدكور، ابراهيم، تاريخ الفلسفة العربة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، ١٩٧٣، ص١٣١.

(٨٣) حسين: د. منى فليح، الاخلاق والسياسة عند ابن سينا، رسالة ماجستير، مخطوطه،بغداد، ٢٠٠٢، ص٣٢.

(٨٤) أمين، احمد، الاخلاق، القاهرة، ١٩٣٣، ص١٦٨.

(٨٥) الحبابي: محمد عزيز، من تاريخ الفارابي الى تاريخيته، ضمن كتاب اعمال الفارابي والحضارة الانسانية، مطابع الحرية، بغداد، ١٩٧٦، ص١٦٦-١٦٧.

(٨٦) القرآن الكريم، سورة الاسراء: ١٧-٢٩.

(٨٧) الحبابي: محمد عزيز، من تاريخ الفارابي الى تاريخه، ص١٦٧.

(٨٨) الجبوري: د. نظله، الفلسفة الاسلامية، ص٢٥٠.

(٨٩) الفارابي: تحصيل السعادة، الفارابي الاعمال الكاملة، د. جعفر آل ياسين، ط١، دار المناهل، بيروت، ١٩٩٢، ص١٥١.

(٩٠) الفارابي: فصول متنزعة في علم الاخلاق، ضمن كتاب الفكر الاخلاقي العربي، الفلاسفة الخلقيون، ج٢، ماجد فخري، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٩، ص٦٩-٧٢.

(٩١) طراد: د. مجيد مخلف: العدالة عند فلاسفة الاسلام، رسالة ماجستير، قسم الفلسفة، كلية الاداب / جامعة بغداد، مخطوطة، ١٩٨٥، ص١٥٩.

(٩٢) الفارابي: التنبيه على سبيل السعادة، ص٢٣٥.

(٩٣) المصدر نفسه، ص٢٢٧.

(٩٤) التكريتي: د. ناجي فلسفة الاخلاق عند الفارابي، ط١، مكتبة الغفران، ٢٠١٠، ص٢٤.

(٩٥) المصدر نفسه، ص٢٤.

(٩٦) المصدر السابق، ص٦٧-٦٨.

(٩٧) الفارابي: آراء أعل المدينة الفاضلة، ص١٠١.

(٩٨) آل ياسين: د. جعفر، فلاسفة مسلمون، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٢، ص٣٥.

(٩٩) الفارابي: آراء أهل المدينة الفاضلة، ص١٠١.

The Presence of Opposites(Good & Evil) in al-Farabi's Philosophy

Dr. Hadeel Saadi Musa

Abstract

Good and evil held the interest of man ever since the budding stages of the evolution of human consciousness، and with the rise of philosophy، the need for studying them and identifying their fundamental determinants became even more urgent. They also held the attention of Islamic philosophers ever since the rise of Islamic philosophy، which borrowed and developed some of its major ideas from Greek philosophy. The Islamic philosopher، al-Farabi، or Alpharabius as he is also known in the West، was one of the most prominent Islamic philosophers who meticulously studied this issue. It is unambiguously noticeable in his studies of logic، ethics، and politics as well as his study of the human soul and human happiness and misery. The present paper aims to thoroughly investigate all this.

Good،Evil، Islamic philosophy، Farabi، Human soul